بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (البقرة: ١١٤)

عنوان الفعالية

المؤتمر العالمي السادس للدراسات القرآنية وتدبر القرآن الكريم في أوروبا

عنوان المؤتمر

(منهج القرآن في بناء الإنسان)

يعقد فى مدينة مانشستر – بريطانيا

مواعيد المؤتمر

السبت والأحد ٦-٧ يوليو ٢٠١٩م الموافق ٣-٤ ذي القعدة ١٤٤٠هـ

الجهة المنظمة

الأكاديمية الأوروبية للدراسات القرآنية

بالاشتراك مع

مركز إقبال للدراسات الإسلامية التابع لجامعة ليدز

ومركز التراث الإسلامي البريطاني فى مانشستر

المحور الثاني

جوانب بناء الإنسان في القرآن الكريم

عنوان البحث

بناء الإنسان فكرياً من خلال مفردات: (النظر) و(البصر) و(الرؤية) الواردة في القرآن الكريم

طه محمد آدم (دكتوراه في الدعوة)

مهندس مدني وباحث في الدراسات القرآنية

(tahaabu82147@gmail.com)

ملخص:

يتناول هذا البحث جوانب توطين فكرة العوالم الثلاثة وهي عالم الشهادة، عالم الغيب النسبي وعالم الغيب المحض وذلك بناءً على ما ورد بحديث جبريل عليه السلام فيما يتعلق بمفهوم الإسلام، الإيمان والإحسان مع ربط هذه العوالم بمفردات واردة بالقرآن الكريم؛ وهذه المفردات هي (النظر) و(البصر) و(الرؤية)، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف:١٩٨). هذا البحث يركز على توجيه فكر المسلم ليقر بوجود هذه العوالم، حتى لا يأتي المشككون ليحصروا العوالم في عالم الشهادة وحسب، كشأن من يُسَّمون بالملحدين. وعليه فإن هذا البحث يهدف لتمكين عقيدة عالم الغيب والشهادة في نفوس الذين يتعرضون ليل نهار لسيل أفكار المنكرين لعالم الغيب من الملحدين ومن هو على شاكلتهم. وسيتم – بمشيئة الله تعالى – عرض هذا البحث في: مقدمة، وأربعة مباحث وخاتمة، وبالطبع قائمة للمصادر والمراجع.

كلمات مفتاحية: النظر، البصر، الرؤية، عالم الشهادة، عالم الغيب النسبي، عالم الغيب.

Building man intellectually through the vocabulary of (look), (sight) and (vision) contained in the Koran

Abstract

This research deals with aspects of settling the idea of the Three Realms, the world of the witnessing, the world of relatively unseen and the world of the unseen, according to what is mentioned in the hadeeth of Jibril (peace be upon him) regarding the concept of Islam, faith and benevolence with linking these worlds to some vocabulary mentioned in the Holy Quran; (look), (Sight), and (vision), such as what was said in the verse: [And you see them looking at you while they do not see] (Al-Araf: 198). This research focuses on guiding Muslim thought to acknowledge the existence of these worlds, so that skeptics do not come to limit these worlds in the world of the witnessing, just like those who are called atheists. Therefore, this research aims to enable the doctrine of the world of the unseen and the world of the witnessing in the souls of those who are exposed day and night to the path of the ideas of the deniers of the unseen world of atheists and those who are like them. It will be - in the will of God - to present the research in: Introduction, four investigations and conclusion, and of course a list of sources and references.

Key Words: Look, sight, vision, the world of the witnessing, the world of the unseen

المقدمة

يحتوي القرآن الكريم على كثير من المفردات التي يحتار أمامها الباحث، من حيث معناها أو من حيث دلالتها؛ ومن ضمن هذه المفردات؛ مفردة (النظر) و(البصر) و(الرؤية) التي سوف تكون موضوع هذا البحث.

مشكلة البحث

تتلخص مشكلة البحث بالإجابة على الأسئلة التالية:

- هل مفردات (النظر) و(البصر) و(الرؤية) مترادفة؛ بحيث تحل واحدة محل الأخرى؟
- ماذا تعنى كلٌ من مفردة (النظر) و(البصر) و(الرؤية)، عندما ترد جميعها في آية واحدة، أو يرد بعضها في آيتين متجاورتين؟
- هل لكل من مفرة (النظر) و(البصر) و(الرؤية)، دلالة معينة عى شيء ما؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق ما يلي:

- التدليل على وجود العوالم الثلاثة: (عالم الغيب) و(عالم الغيب النسبي) و(عالم الشهادة).
- بيان زيف المعتقد المادي الذي لا يؤمن إلا بعالم الشهادة (العالم المادي)

طريقة الدراسة

تتمثل طريفة الدراسة في هذا البحث، فيما يلي:

- إستقراء كل من مفردات (النظر) و(البصر) و(الرؤية) من القرآن الكريم
- تحليل الآيات حسب مواضيعها أو دلالاتها
- إستنباط معاني أو دلالات المفردات

المبحث الأول

عالم الغيب ... وعالم الشهادة

يتكون الإنسان من حياتين رئيستين، هما الحياة المادية والحياة الروية؛ فالأولى منبثقة من الطين الذي خلق منه آدم – عليه السلام – بينما الثانية منبثقة من الروح التي نفخت فيه بعد أن سواه الله تعالى، قال جل شأنه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص:٧١-٧٢). وبما أن الطين من مكونات الأرض فهو يمثل عالم الشهادة، الذي يعرفه كل من يسكنها، وأما الروح فتمثل عالم الغيب الذي قال جل شأنه عنها: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء: ٨٥).

وهاتان الحياتان تقومان على مبدأين أساسين، هما مبدأ القوت ومبدأ الأمن، قال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّاً﴾ (القصص:٥٧)، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل:١١٢)؛ فالقوت هو الذي يغذي (مادة) الجسد، وأما الأمن فهو الذي يحفظ (للروح) كيانها، ويتمثل ذلك في البحث عن صحة الجسد، أو إنجاب الذرية لاستمرار النسل أو البحث عن السلام والبعد عن القتال أو ما شابه ذلك، قال النبي – صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)[1]؛ فعبارة (آمنا في سربه، معافى في جسده) تدل على مبدأ الأمن، وأما عبارة (عنده قوت يومه) فتدل على مبدأ القوت.

ولقد ثبت أن الله تعالى يتكفل بتحقيق المبدأين، كحق للإنسان على الله، ولكن يترتب على ذلك أن يعبدوه من خلال تطبيق ما يشرع لهم، فمثلا في ما يخص حياة آدم – عليه السلام – قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (البقرة:٣٥)، أي تم تحقيق مبدأ الأمن بتحقيق السكن في الجنة، والذي لا يتوقع أن تغشاه فيه الغوائل، أو الأدواء أو نحوهما؛ كما حقق له القوت الرغيد؛ ولكن بعد ذلك جاء التكليف المتضمن النهي عن الأكل من شجرة بعينها: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ (البقرة:٣٥).

وهذا هو عينه ما حصل لأبناء آدم – عليه السلام – وهم في الأرض، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ﴾ (قريش:٣)، فحرف الفاء الذي ورد في جملة (يعبدوا) هو جواب لما فيه معنى الشرط، والشرط هو تحقيق المبدأين: القوت والأمن، اللذين وردا صريحين في الآية التالية: ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ (قريش:٤). وبالتالي يتطلب ذلك الوفاء بعبادة من حقق هذين المبدأين.

---

(١) الجامع الكبير، سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، ٥٧٤/٤، حديث رقم: ٢٣٤٦. قال عنه الترمذي حديث حسن غريب.

وبهذه الكيفية تمثل العبادة تحقيق الحياة الروحية، بينما الحياة المادية فقد كفلها الله تعالى بما يحقق من المبدأين.

المطلب الأول: الحياة العقلية ومستويات التكليف

التكليف بالعبادة يتطلب وجود حياة ثالثة وطارئة تدخل بين الحياة المادية والحياة الروحية وتوفق بينهما، لكي يفي الإنسان بشرط العبادة، بعد أن وفى الله تعالى بشرط تحقيق المبدأين. وهذه الحياة هي الحياة العقلية، إذ أنه لا يمكن تكليف الإنسان بالعبادة إلا في وجود العقل الذي يتوسط المادة والروح، ليحقق حاجاتهما دون تطرف لأحدهما أو تفريط في تحقيق حاجات الأخرى؛ قال تعالى عن من تطرف للمادية ونبذ الروحية: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المأْوَى﴾ (النازعات:٣٧-٣٩)، وقال النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – عن الذين أرادوا التطرف للروحية ونبذ المادية: (أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[1].

ولا يخفى أن جملة (أَصُومُ وَأُفْطِرُ) تشير إلى مبدأ القوت، بينما تشير جملة (وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ) إلى مبدأ الأمن، لما يشتمل عليه النوم من معنى الموت – ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ (الزمر:٤٢) – وأيضا لما يشتمل عليه الزواج من معنى الإنجاب الذي يدل على إستمرارية الحياة.

والحياة العقلية تتكون من ثلاثة أنواع، نوعان منها خاصان بالتطرف إما لتحقيق الحياة المادية فقط؛ كحال الماديين واللادينيين، أو لتحقيق الحياة الروحية فقط، كحال بعض أصحاب الأديان. وهناك حياة عقلية ثالثة هي التي تتوسط هاتين الحياتين لتحقيقهما جميعا. فأما العقل المادي فقد قال تعالى عنه: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (القصص:٦٠)؛ وأما العقل الروحي فقد قال تعالى عنه: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء:٦٧)؛ وأما العقل الوسطي فقد عبر عنه الله تعالى بجملة (لعلكم تعقلون)، وهي قد وردت في ثمانية مواضع من القرآن الكريم، فمنها ما يدعو لتحقيق شريعة الإسلام، ومنها ما يدعو لتحقيق شريعة الإيمان، ومنها ما يدعو لتحقيق شريعة الإحسان، وهو أمر يطول شرحه.

وهذه هي الشرائع التي بينها حديث جبريل[2] – عليه السلام – حيث عرَّفنا أن الدين هو (الإسلام) و(الإيمان) و(الإحسان)؛ وكما علمنا أن العقل هو مناط التكليف بهذا الدين، إلا أنه لا يستوي فيه كل الناس، فبعضهم يقف عند

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢/٧ حديث رقم: ٥٠٦٣.

(٢) قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ – رضي الله عنه –: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ،

تطبيق شريعة الإسلام، كحال النجدي الذي قال للنبي – صلى الله عليه وآله وسلم: "وَاللَّهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أَنْقُصُ" فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ آله وَسَلَّمَ: (أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ)[1]، أو كحال الذين أسلموا حديثاً من الأعراب حين ادعوا الإيمان، حكى الله تعالى ذلك في قوله: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات:١٤).

ومن هذه الآية يفهم أن (الإيمان) أرفع مستوى من (الإسلام)، كما يفهم – أيضا – من حديث جبريل عليه السلام أن (الإحسان) أرفع من (الإيمان). ويفهم أيضا أنه إذا كان الإحسان تناسبه (الرؤية) – كما جاء في الحديث: (الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه) [2] – فكذلك الإيمان يناسبه (البصر)، كما قال تعالى عن الناقة التي أرسلها كآية لكي تؤمن ثمود: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ (الإسراء:٥٩)، ولم يبق إلا الإسلام الذي يناسبه (النظر).

المطلب الثاني: مستوى العقل المادي والعقل الإجتماعي المنكفئ والعقل الإجتماعي المنفتح

الإسلام وتزكية العقل المادي

جاءت شريعة الإسلام بكلٍ من الصلاة والزكاة – وهما اللتان لا تنفصلان أبدا – من أجل تزكية التوجه المادي عند الإنسان، وذلك لأن الصلاة تتولى شأن مبدأ الأمن، من ناحية النهي عن الفحشاء والمنكر، كما جاء في التنزيل: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت:٤٥)، وأما الزكاة فتتولى جانب مبدأ القوت لتزكية دائي الشح والبخل، وجاء في التنزيل عن هذه التزكية: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة:١٠٣).

كذلك توجهت شريعة الإسلام لمزيد من التطهير – بعد التزكية – عن طريق الصوم والحج، حيث يتولى الصوم تطهير بقايا المادية، ومن ثَمَّ الحصول على درجة التقوى، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ = وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ". المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٣٦/١ حديث رقم: ٨.

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، طبعة ١٤٢٢هـ، ١٨/١، حديث رقم: ٤٦.

(٢) المرجع السابق، حديث رقم: ٤٦، ١٨/١.

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣). وأما الحج فيعمل على غسل أدواء المادية بالكلية، كما جاء في الحديث الشريف: (العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ)[1].

ومن هنا يمكننا القول أن شريعة الإسلام تزكي المادية التي تتمثل في التقوقع في كلٍ من ذاتية الفرد وذاتية الأسرة الضيقة.

الإيمان والتطور من المادية إلى المجتمع المنكفيء

لم يشرِّف الله تعالى المسلمين بأن يناديهم ب(يا أيها الذين آمنوا) إلا بعد الهجرة، إذ أن القرآن المكي كله خُلْوٌ من هذا النداء؛ وذلك التشريف بسبب أنهم تجاوزوا الإنتماء للعرق الذي كان مدار حياتهم في الجاهلية، وأمكنهم الآن الخروج من هذه القوقعة، والإنطلاق إلى رحابة المجتمع الفكري الذي لا يعير للعرق اهتماماً، قال تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ (الممتحنة:٣-٤).

وعلى الرغم من أن (المؤمنين) هاجروا فكرياً من المجتمع العرقي وركنوا إلى المجتمع الفكري، إلا أنهم كانوا عبارة عن مجموعة أعراق يرتبطون فكرياً؛ كالأوس والخزرج والقرشيين، ونحوهم. وهذا هو ما يُقصد به المجتمع الفكري المنكفيء.

الإحسان والتطور من المجتمع المنكفيء إلى المجتمع المنفتح

وردت عبارة (حُكْماً وَعِلْماً) أربع مرات في القرآن الكريم، وقد خص الله بها كل من (لوط، ويوسف، وموسى، وداوود وسليمان) عليهم السلام. وهؤلاء جميعا يشتركون في هذا العطاء لأنهم قد تم ابتلاءهم إما بالعيش خارج أسرهم، كيوسف وموسى، أو بقيادة أمم غريبة خارج مجتمعهم العرقي، كلوط وداوود وسليمان؛ وجميعهم أثبتوا نجاحاً منقطع النظير في التعاطي مع المجتمع الذي عاشوا فيه، وخاصة يوسف وموسى؛ إذ أن الأول قد عاش بعض من صباه في بيت عزيز مصر، وبين ظهراني الأقباط؛ والثاني تربى في بيت فرعون وبين الأقباط؛ كما كانت له تجربة أخرى عاشها في مدين، وهي التي وصفها الله تعالى بالأيام الصعبة والشاقة –كناية عن غربته – جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ (طه:٤٠)، أنظر إلى (سنين) وما تدل عليه من المشقة، وانظر إلى (أهل) وما تدل عليه من المجتمع.

ومن ضمن هؤلاء جميعاً فقد خص الله تعالى كلاً من يوسف وموسى عليهم السلام بصفة الاحسان؛ فقد قال عن الأول: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي المحْسِنِينَ﴾ (يوسف:٢٢)، وقال عن الثاني: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي المحْسِنِينَ﴾ (القصص:١٤). ولقد حازا على صفة الاحسان هذه لما تحليا به من صبر على من تربوا في كنفهما، من أهل الجاه والسلطان، ولم ينزلقا إلى الإفتتان بهذا الجاه ولم يستغلا هذا السلطان لتحقيق مآرب مادية وذاتية رخيصة، بل تطورا إلى مستوى (الإحسان) الذي يتخطى الذات والأسرة والعرق؛ ليعيش في مصاف المجتمع المنفتح الذي يستوعب كل الناس، بغض النظر عن أعراقهم أو دينهم. أنظر إلى (إحسان) يوسف، وتساميه عن مادية

(١) المرجع السابق، حديث رقم: ١٧٧٣، ٢/٣.

من تربى في كنفهم؛ وأنه آثر السجن بدل أن يطاوعهم في ممارسة الفحشاء: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (يوسف:٣٣)، وأيضا: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (يوسف:٣٧)؛ وهو تقريباً نفس الموقف الذي اتخذه موسى – عليه السلام – حين آثر الهروب من بيت الجاه والسلطان، بدل أن يوافقهم على ممارسة الظلم الإجتماعي: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ (القصص:١٧).

المطلب الثالث: عالم الغيب النسبي

عبارة (لعلكم تعقلون) التي ذكرت من قبل تشير إلى أن كل من طبَّق هذه الشرائع فهو حرّي أن يحصل على العقل (حياة الغيب النسي)، وأي تقصير في تطبيق هذه الشرائع يلحقه نقصان في التمتع بهذا العقل بقدر هذا التقصير. والغيب النسبي هو الفرقان الذي ينزله الله تعالى لعباده لكي يفرقوا به بين الحق والباطل، وهو ما يساعدهم في تطبيق الشريعة بيقين، قال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾ (الأنفال:٢٩)؛ وهذا الفرقان هو (الوحي الرباني) الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً﴾ (الشورى:٥١)، ولقد وصف الفخر الرازي – في تفسيره – هذا الوحي بأنه الإلهام والقذف في القلب أو الوحي في المنام، كما أوحى الى إبراهيم – عليه السلام – بذبح ابنه، أو كما أوحى إلى أم موسى[١].

وفي مقابل الوحي الرباني – الذي ليس بالضرورة أن يكون حصراً على الرسل، بل يتمتع به كل من طبق الشريعة – يوجد (الوحي الشيطاني)، وهو الوحي الذي يلقيه الشيطان إلى أوليائه، كما جاء في التنزيل: ﴿شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾ (الأنعام:١١٢). فالقلوب النظيفة المليئة بالإيمان واليقين يتولاها الله تعالى بوحيه، لكي تفرق بين الحق والباطل؛ وأما القلوب الشريرة المليئة بالشك والريب والتردد فيتولاها الشيطان بوحيه؛ وهذا شبيه بما جاء في حديث النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – (تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ)[٢].

وجدير بالذكر أن جملة (الغيب النسبي) ليست حصراً على العقل الذي عرفناه، بل يمكن أن تطلق على (العلم)، إذ أنه يمثل غيباً نسبياً لمن يجهله؛ بينما هو شهادة لمن يعلمه أو يمكن أن يطلق على (المرض)، إذ أنه غيب نسبي للمعافى؛ بينما هو شهادة للمريض الذي يحس به كما أنه يمكن أن يطلق على (السر) الذي بين حنايا المرء، فهو شهادة لصاحبه، ولكنه غيب نسبي لغيره، وهلمجرا.

---

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ، (٦١١/٢٧).

(٢) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، حديث رقم: ١٤٤، (١/ ١٢٨).

المبحث الثاني

النظر وعلاقته بالعالم المادي

ثبت بالاستقراء أن مفردة (نظر) قد وردت ثنتان ومائة مرة بتصريفات متعددة؛ منها ثلاثة وثمانون آية تحمل مفردة (نظر)، وهي تعني مشاهدة أمر مادي، سواء كان ذلك متعلقا بالناظر، أو متعلقا بالمنظور إليه. وأما التسعة عشر آية الباقية فتحمل معنى الإنتظار، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ (البقرة:٢٨). ولا يخفى ما لهذا المعنى (الإنتظار) من علاقة بالمعنى الرئيس لمفردة النظر، ألا وهو المشاهدة المادية؛ ذلك أن الأساس في الإنتظار هو كرور الأيام، وهي لها تأثير مادي مشاهد على من تمر عليه هذه الأيام، ألا وهو تغير حاله، كما جاء في التنزيل –كبيان لتأثير الزمان على الإنسان: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلاَ يَعْقِلُونَ﴾ (يس:٦٨).

المطلب الأول: النظر وعلاقته بمبدأ الأمن

لقد وردت كلمة النظر في بعض الآيات القرآنية لتبين أثر مبدأ الأمن على الناظر أو المنظور إليه؛ فأما أثره على الناظر فمثاله ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ (الشورى:٤٥) فجملة: ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾، هي تصوير لتغير حالهم ومظهرهم المادي لَمَا انتابهم من الخوف وتحقق مصيرهم، وبالتالي فقوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أي ينظرون إلى المصير المحقق الماثل مادياً أمام أعينهم، نظر الخائف الوجل.

وأما مثال حال تأثر المنظور إليه بمبدا الأمن، فيبدو في الآيات التي تحث للنظر في ما آل إليه حال المهْلَكِين من القرون الأولى، من قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، وقوم شعيب، وفرعون وجنوده. ومن ضمن هؤلاء الذين ظهر أثر سلب مبدأ الأمن منهم قوم لوط: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف:٨٦)، فقوله تعالى: ﴿وَانظُرُوا﴾ موجه إلى قوم شعيب، الذين يسمون ب(مدين)، وهم يسكنون جزيرة سيناء وبالتالي، فهم يقطنون منطقة الأردن التي هي موطن قوم لوط، الذين وصفهم نبيهم – عليه السلام – بالمفسدين في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (العنكبوت:٣٠)؛ وبالتالي، فجملة: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ تشير إلى قوم لوط. والسبب في مخاطبة قوم شعيب بجملة ﴿وَانظُرُوا﴾ لأن مظاهر العقوبة بادية للعيان – في حق هؤلاء الجيران – إذ أنها تتمثل في البحر الميت، كآية مادية لا تخطئوها العين.

المطلب الثاني: النظر وعلاقته بمبدأ القوت

وردت بعض الآيات التي تحث الإنسان على النظر في مبدأ القوت كشيء مادي ذو أهمية قصوى لهذا الإنسان، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ (البقرة:٢٥٩)، وقوله تعالى: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ (الأنعام:٩٩)، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ (الكهف:١٩).

هذه الآيات المذكورة تحدثت عن مبدأ القوت مباشرة، ولكن هناك آيات تحدثت عن الآثار المادية لهذا المبدأ، كالمال أو النبات أو زخرف الحياة الدنيا، من ذلك قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (الإسراء:٢١)، وهذا التفضيل ربما يكون في المال أو الذرية أو السلطان، أو نحو ذلك من مظاهر الحياة الدنيا المشاهدة لكل الناس. ومن أمثلة ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (الروم:٥٠)، فجملة (رحمت الله) هنا تعني الغيث الذي يتسبب في إنبات النبات، والذي بدوره يكون قوتاً للإنسان والحيوان.

المطلب الثالث: النظر وعلاقته بالأشياء المادية

يلاحظ أن كلمة النظر عندما ترد في القرآن الكريم للتعبير عن مشاهدة شيء مادي ماثل للعيان؛ كالجبل أو الإنسان أو النجوم أو نحوها، حينها يكون المراد من ذلك هو إستخلاص فكرة ما أو عبرة أو قانون أو نحو ذلك؛ من هذه الآيات قول الله تعالى: ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ (الأعراف:١٤٣)، وبما أن الجبل شيء مادي فقد توجه إليه بجملة (أنظر)، والعبرة المستخلصة هي عندما تزول مادة الجبل، ويصير في عالم الغيب ساعتها يدرك موسى – عليه السلام – أن الله تعالى لا يمكن (النظر) إليه، كما تمنى هو: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف:١٤٣)، لأن السبب ببساطة هو أن الله تعالى لا يستوعبه الكون المادي، سواء كان جبلاً أو شيء أعظم من هذا الجبل.

ومن أمثلة ذلك أيضا نظر الناس إلى بعضعهم البعض؛ ككائنات مادية، قال تعالى: ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ (التوبة:١٢٧)، وقال تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف:١٩٨)، وقال تعالى: ﴿ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (طه:٩٧)، تمعن هنا كيف تمت مخاطبة السامري بالنظر إلى إلهه، وذلك لأن هذا الإله مادي مصنوع من الذهب، ويجوز في هذا الإله المادي ما يجوز صنعه في أي شيء مادي آخر من تكسير وتفتيت ونسف، كما حدث لآلهة قوم إبراهيم، أو لآلهة قريش يوم الفتح؛ أما إله موسى – عليه السلام – فلا يجوز في حقه مجرد النظر إليه، تعالى جد ربنا.

وهناك نظر آخر يعبر به عن الأدلة المادية لحدث ما؛ نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (النمل:٢٧)، فقوله تعالى: ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي في دعواك أن هناك مملكة عظيمة تديرها إمرأة، ولها عرش عظيم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (النمل:٢٣)؛ فكل هذه المعلومات عبارة عن حقائق مادية لابد أن تكون موجودة في الواقع، وسوف يتحقق من ذلك عيانا؛ ولهذا عبر عن هذه المعلومات الدالة على وجود هذه المملكة بجملة (سننظر).

المبحث الثالث

البصر وعلاقته بعالم الغيب النسبي

باستقراء مفردة (بصر) في القرآن الكريم فقد وجد أنها وردت سبعة وأربعون مرة؛ وبالتحليل تبين أنها تنقسم إلى قسمين رئيسين؛ واحد منهما يلحق بالإتجاه المادي؛ وآخر بالإتجاه الروحي، وكل منهما يتحدث عن ثلاثة مواضيع هي: القانون، والملائكة الموكل إليها تطبيق هذا القانون، والجزاء نظير تطبيق هذا القانون من عدمه.

المطلب الأول: البصر المادي البحت

المواضيع التي تحدث عنها الإتجاه المادي للبصر تتمثل في ثلاثة: فأولها القانون المادي الذي يكمن وراء تحقيق المبدأين في الكون، وثانيها الملائكة الموكل إليها تطبيق هذا القانون، وهم ميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وثالثها الجزاء على تطبيق هذا القانون من عدمه، وهو جزاء دنيوي محض، فمنه ما يحقق مبدأ القوت؛ مثاله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ (المائدة:٦٦). ومنه ما يحقق مبدأ الأمن؛ ومثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ (الأنعام:٦٥). وكل من هذين الجزاءين هما في الدنيا.

القانون المادي وعلاقته بالبصر:

وردت الإشارة إلى القانون المادي في قوله تعالى: ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات:٢٠-٢١)، فجملة ﴿آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ تحمل دلالة ما بها من اختلافات يمكن التحقق منها بالعين، وهذا التحقق العياني هو ما يعرف باليقين، كيقين أهل النار بالنار بعدما وردوها، حكى ذلك عنهم الحق عز وجل: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُون﴾ (السجدة:١٢). وأما الذي عرفه الموقنون — في هذه الآية — هو ما يتعلق بشؤون الأرض، كاختلاف تضاريسها وطقسها، واختلاف ألوانها وساكنيها، من بشر ونبات وحيوان تبعا لإختلافات الأرض التي تضم كلا منهم.

ولهذا جاءت الآية التي تليها لتدعو هؤلاء الموقنين لكي يدرسوا إختلاف الناس عرقياً واجتماعياً تبعاً لاختلاف الأرض التي يسكنونها. وكان التعبير عن تلكم الدعوة بقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؛ وأُتِي بجملة ﴿تُبْصِرُونَ﴾ لمناسبتها للموضوع الإجتماعي الذي تحمله الآية.

وبالطبع، هذا المفهوم الإجتماعي للآية الذي عبر عنه بجملة (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) يمكن ملاحظة إختلافه عن المفهوم المادي الذاتي الذي عبر عنه بجملة (فَلْيَنظُرِ)؛ والتي وردت في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (الطارق:٥)، فهذه الآية تدعو للنظر في مكونات خلق الإنسان المادية، والتي يشترك فيها كل الناس باختلاف أعراقهم وأماكن سكناهم؛ ولأن الدعوة هنا إلى البحث عن المكونات المادية جاء التعبير عنها بصيغة ﴿فَلْيَنظُرِ﴾، لمناسبته لهذه المادية.

ومن أمثلة الآيات التي تحدثت عن القانون المادي قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (الحاقة:٣٨)، وهي تعني القوانين المادية التي تمت معرفتها عن طريق الإنسان، والتي يمكن أن يعرفها لاحقاً؛ وهي قوانين متاحة لكل الناس بغض النظر عن دينهم وجنسهم وعرقهم.

البصر والملائكة الموكل إليها تطبيق القانون المادي:

لقد وردت آية واحدة في هذا الموضوع، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ (الحاقة:٣٩)، وهي عبارة عن ابصار الكائنات التي لا يمكن للإنسان رؤيتها في الظروف الطبيعية من عالمي الجن والملائكة.

فأما عالم الجن لم يرد في مشاهدته نص صريح، إلا ما يمكن التدليل عليه من أفعال الشيطان، كالسحر وفاحشة اللواط؛ فأما السحر فقد ورد في قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (الأنبياء:٣)، وفي قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (الطور:١٥). وأما اللواط فقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (النمل:٥٤). وبما أن هذه الأعمال لا يمكن للإنسان القيام بها إلا بما يوحي من الشيطان، لذا عُبِّر عنها بجملة (تُبْصِرُونَ)، أي كأنك تشاهد الشيطان من ورائها رأي العين.

وأما بالنسبة لعالم الملائكة فلا يمكن للناس رؤيتهم، ولذلك وردت آية واحدة تنفي ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) ونَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ (الواقعة :٨٥)، أنظر كيف تم التعبير عن مشاهدة الحاضرين للجسد الذي ينازع بجملة (تَنظُرُونَ)، بينما نفت عنهم مشاهدة ملك الموت وأعوانه، وذلك باستخدام جملة (لَّا تُبْصِرُونَ).

الجزاء المادي الدنيوي:

سوف نذكر ما يتعلق بمبدأ الأمن فيما يخص الجزاء الدنيوي، وذلك من حيث تأمينه من قبل الله سبحانه وتعالى لعباده ، أو نزعه من بعض أعدائه.

كما رأينا في الآيات السابقة كيف أن العمل الناجم من وحي إبليس اللعين قد تُوجِّه إليه بجملة (تُبْصِرُونَ) أو نحوها، وكأن المشاهد يبصر إبليس بذاته. وفي الآيات التالية نرى نقيض ذلك؛ ألا وهو ان عناية الله تعالى بأوليائه تعطي معنى أنهم محاطون بالكلية بملائكة تحفظهم، وبالتالي لما يتوجه إليهم الخطاب، لا يتوجه إليهم كعنصر مادي بحت، كما سبق في مخاطبتهم بجملة (نظر)؛ بل يتوجه إلى الملائكة التي تحفه؛ وبالتالي، فهو لا تناسبه إلا جملة (بصر). من ذلك مثلا موسى – عليه السلام – عندما كان وليداً حينما قد تكفل الله تعالى بحمايته من الذبح على يدي جنود فرعون، جاء ذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص:٧). ولهذا لما وضعته في اليم، وكلفت إبنتها لمراقبة مآله، عُبِّر عن هذه المراقبة بجملة ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ﴾، وكأنها كانت تبصر إلى عناية الله التي تحفه، وليس إلى الصندوق الذي كان يحويه، ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص:١١).

ومن أمثلة مبدأ الأمن الذي كفله الله تعالى لعباده؛ العناية التي حف الله تعالى بها النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ليلة الهجرة، حينما منعه من المتربصين به، فحيل بينه وبينهم بعنايته؛ ولقد تم التعبير عن ذلك بجملة ﴿ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾؛ وهي الجملة التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس:٩).

ونقيض هذه العناية تماما يأتي الحديث عن السخط والعذاب الوشيك في حق أعداء الله الذين أصروا على معاندة دعوته؛ ولفرط ما أحاط بهم هذا السخط واللعن – الموجبان للعذاب الوشيك في الدنيا – صار التعبير عنه كأنه رأي عين، مثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (الصافات:١٧٥)، قال ابن عاشور رحمه الله: [أبصرهم وما يَنزل بهم فسوف تُبصر ما وعدناك وليُبصروا ما ينزل بهم فسوف يبصرونه][1]. ومثال آخر أيضا ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (الصاقات:١٧٩).

المطلب الثاني: البصر الروحي البحت

المواضيع التي تحدث عنها الإتجاه الروحي للبصر تتمثل في ثلاثة: فأولها القانون الروحي الذي يتحدث عن التوحيد والشريعة، وثانيها الملائكة الموكلون بتنزيل هذه الشريعة، وهو جبريل وأعوانه، وثالثها الجزاء على تطبيق هذا القانون من عدمه، وهو جزاء أخروي محض.

القانون الروحي:

يقصد بالقانون الروحي ما نزل به جبريل – عليه السلام – على رسل الله أجمعين، وهو يشتمل على الدعوة إلى التوحيد، وأيضا الدعوة إلى الشريعة. فأما الدعوة إلى التوحيد فمثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ (الأنعام:١٠٤)، جملة ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ تدل على أن (البصائر) التي جاءت إنما لتضيء الطريق للناس حتى لا يحيدوا عن الهدف. وهذا السير يدل على خروج الإنسان من بيته – موطن مجتمعه الأسري والعرقي – إلى رحابة المجتمع الذي ليس بالضرورة أن يرتبط فيه السائر بنسب أو عرق؛ وبالتالي، فإن جملة ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ تدل على نجاح وفلاح من يتبع البصائر في علاقته الإجتماعية. وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنسَى﴾ (طه:١٢٦)، فالذي ينسى الآيات أو البصائر هو الذي يتعامل مع مجتمعه ليس على ضوء البصائر، وبالتالي فهو يسير بين الناس كالأعمى. وهاتان الآيتان تشيران إلى شيئين أولهما هو أن التصديق بآيات الله هو توحيد به جل شأنه، وثانيهما هو أن التصديق بهذه الآيات يستوجب العمل بها، وهذا هو عين الشريعة، مما يدل على أن الشريعة ملازمة للتوحيد ولا تفارقه.

---

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠، (١٩٦/٢٣).

وأما الدعوة إلى الشريعة من قبل هذا القانون الروحي فمثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف:١٧٩)، وردت ثلاثة جمل في هذه الآية، وهي: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾، و﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾، و﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾، وهي تتحدث عن شرائع الإحسان والإيمان والإسلام على التتالي، وتبين مدى غفلة هؤلاء الجن والإنس عنها، مما برر بأن يوصفوا بالأنعام. وهذا الوصف لا يخلو من إشارة إجتماعية، وهي الدلالة على مدى استئناس هؤلاء الجن والإنس في العيش مع بعضهم في ظل غفلة الإنس عن الشرائع؛ لأن تطبيق الشريعة من قبل الإنس كفيل بطرد الجن، وإلا هجّرُوا تحت ظل واحد.

والسبب في أن وصفهم بالأنعام يحمل دلالة إجتماعية، هو أن الأنعام لا تجد حرجاً في أن ترعى جنبا إلى جنب؛ كحمار الوحش يرعى إلى جانب بقر الوحش، والظباء والزراف ونحوها، فهي لا تنفر من بعضها. وهو بخلاف ما إذا وصفوا بالدواب، فإنه لا يستقيم، لأن الدواب كالأسود والضباع والنمور ونحوها تتنافر من بني جنسها، ناهيك من أن تتعايش مع جنس آخر.

البصر والملائكة الموكل إليها تنزيل بالقانون الروحي:

لقد سبق الحديث عن البصر للتعبير عن مشاهدة الملائكة الموكل إليهم أمر تحقيق الحاجات المادية (ميكائيل وإسرافيل وعزرائيل)، وكذا البصر للجن، وأيضاً لمن حفتهم عناية الله تعالى للنجاة من الضر المادي، أو البصر للأفعال المادية التي تنم عن الشر (كالسحر واللواط٠)؛ وهي التي يقف من ورائها إبليس اللعين.

وأما هنا فسوف نرى الآيات التي تتحدث عن الملائكة الموكل إليها أمر الشريعة (القانون الروحي)، ورئيسهم جبريل عليه السلام، كما وسنرى كيف تتم مخاطبة الرسول البشري من حيث وظيفته كرسول، وليس من منطلق بشريته.

فمن أمثلة توجيه الخطاب بلفظ (البصر) إلى الرسول الملكي، ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ (طه:٩٦)؛ فجملة ﴿أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ راجعة إلى أثر دابة جبريل – عليه السلام – كما ذهب لذلك بعض المفسرين[1]، وبالتالي عُبِّر عنها بجملة ﴿بَصُرْتُ﴾ حكاية عن السامري.

ومن أمثلة البصر إلى شخص الرسول من حيث وظيفته الرسالية، قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف :٤٣)؛ فجملة ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ فيها إثبات لوقوع النظر للمادة البشرية لشخص الرسول، ولكن جملة ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ وصفتهم بالعمى الفكرى، إذ أنهم لم يستطيعوا بفكرهم الشركي النهوض لتخطي مادته البشرية ومعرفة هيئته الرسالية التي لا تخطئها عين كل حصيف، لذا نفى عنهم البصر.

ومن شاكلة هذه الآية – أيضا – قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف:١٩٨)، وهنا كذلك أثبت لهم النظر، بينما نفى عنهم البصر.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق، (٢٩٦/١٦).

البصر والجزاء الروحي:

يعبر عن مشاهدة المكلف للحالة الملازمة للجزاء يوم القيامة بجملة (بصر)، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق:١٩-٢٢)، فجملة ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾، أي من القوة بمكان بحيث يمكنك أن تطلع على مراحل حسابك وعلى مقعدك من الجنة أو النار.

ومن نظائر هذه الآية قوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ (المعارج:١١)؛ فجملة ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي أن الملائكة تدلهم على مقاعدهم من النار. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة:١٢)؛ فجملة ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ تبين موقف المجرمين لما عرفوا مآلهم في الآخرة.

المبحث الرابع

الرؤية وعلاقتها بعالم الغيب

جاء تعريف شريعة الإحسان في حديث جبريل – عليه السلام – بأنه (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1]؛ وهذه العبارة تدل على الحث للإخلاص في العمل؛ فالذي يعمل ورب العمل يراقبه بالضرورة أن ينتج عنه عملاً يرضي رب هذا العمل؛ ناهيك أن يكون رب هذا العمل موجوداً – وأنت تنظر إليه – فحينها يكون العمل أجود. وهذا الإتقان يقصد به كل عمل يقوم به العبد، رجاء الثواب من الله تعالى، وهذا الثواب لا يطاله العبد إلا إذا كان هذا العمل خالصاً لرب العمل – جل وعلا. وهذا هو توحيد الإلوهية بعينه.

وبالتالي فإن عبارة (كأنك تراه) تعني أنك ترجو ثوابه، لأن هذا العمل من أجله هو وحده، لا شريك له فيه؛ وذلك ليس كشأن القاري للقرآن أو المتصدق أو المجاهد الذين يعملون هذه الأعمال وهي ليست خالصة له – سبحانه – بل من أجل ذواتهم المادية، كما جاء ذلك في حديث الشريف: (أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[2].

وكذلك فإن جملة (فإنه يراك) عبرت عن مشاهدة الله تعالى للعبد وهو يقوم بهذا العمل المتقن وهو في حال إخلاص العبادة بالرؤية: (فإنه يراك)، وليس ب(النظر) أو (البصر)، وذلك لأن العمل المتقن والخالص لله سبحانه وتعالى مصدره نية العبد وهي غيب لا يدركه إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا شبيه بما جاء في قوله تعالى: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾ (الفتح:٢٩).

وكذلك نجد أن هذا التعبير عن العمل الخالص لله تعالى يعبر عنه بالمفهوم المخالف في أعمال المشركين والمنافقين. فأما في حال المشركين فنجد قوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف:١٩٨)، أي أن هؤلاء الذين تشاهدهم يوجهون عملهم إلى غير الله تعالى. وأما في حال المنافقين فنجد قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (الأحزاب:١٩)، وقال – أيضا – عنهم: ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (محمد:٢٠).

ولا غرو أن العمل هنا – سواء الموافق او المخالف – عُبِّر عنه بالرؤية لتعلقه بالقلب، وهو غيب عن الاخرين؛

وكذلك يعبر بالرؤية عن مشاهدة الرسول الملكي لما له تعلق بعمل المكلفين إذ أنه يأتي بالرسالات التي تقوم هذا العمل وتوجب الجزاء عليه سواء كان حسناً أو سيئاً كما هو مبسوط في السطور التالية.

---

(١) المسند الصحيح المختصر، مرجع سابق، ٣٦/١ حديث رقم: ٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤١١ – ١٩٩٠م) ١/ ٥٧٩.

المطلب الأول: رؤية الأشياء المادية ودلالتها على عالم الغيب

ورد في القرآن الكريم أسماء بعض الاشياء المادية مثل: الكوكب، والقمر، والشمس، والقميص، والأيدي، والأحزاب، والنار ونحوها، وقد عُبِّر عن مشاهدتها باستخدام الفعل (رأى)، وذلك في إشارة لما تدل عليه هذه الأشياء من حقيقة كانت غائبة عن المشاهد ولكنه أدرك هذه الحقيقة الغائبة ساعة مشاهدته لهذا الشيء أو ذاك.

ويتمثل الغيب الذي تدل عليه هذه الأشياء في توحيد الله تعالى، أو في شريعته أو في معرفة الدليل المادي على جُرم ما. فمن أمثلة الأشياء التي دلت على أمر التوحيد؛ الكوكب، والقمر والشمس، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَباً قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (الأنعام:٧٦)، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (الأنعام:٧٧)، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام:٧٨)، ففي هذه آيات يتبين أن إبراهيم – عليه السلام – أراد تنبيه قومه لما تخفيه هذه الأشياء من حقيقة التوحيد الذي هو غائب عن أفكارهم، وذلك أن زوال هذه الأشياء واختفائها مهما بلغت من عِظمِ مادتها لدليل على عدم أهليتها بأن تُتخذ آلهة وتُعبد.

ولا ننسى أن هذه الآيات الثلاث قد بدأت بالآية الكريمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الموقِنِينَ﴾ (الأنعام:٧٥)، وذلك في إشارة إلى أن إبراهيم – عليه السلام – تحدث عن ثلاثية الكوكب والقمر والشمس عن دراية، لأن الله تعالى قد أطلعه على ملكوت السماوات والأرض. ويرى الباحث أن الكوكب والقمر والشمس إنما يدل كل واحد منها على نوع معين من أنواع التوحيد الثلاثة، وهي الربوبية والمُلك والإلوهية على التتالي. ولهذا وصف الله تعالى إبراهيم في آخر الآية ب(الموقنين)، وهو إشارة إلى كمال العلم بتوحيد الله تعالى.

ومن شاكلة ما رآه إبراهيم من ملكوت السماوات والأرض فقد رآه أيضا موسى عليه السلام: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الكُبْرَى (طه:٢٣). وكذلك (رآه) محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى﴾ (النجم: ١٨).

وبنفس المنهج يبين الله تعالى توحيده لعباده من خلال آياته، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (فصلت:٥٣)؛ وقال أيضا: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الزخرف :٤٨).

ومن أمثلة الآشياء التي تدل على التشريع قوله تعالى: ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ (طه:١٠)، هذه نار تبدَّتْ لرجل يسير في الصحراء في ليل بهيم، قارص البرد وبرفقته امرأة ضعيفة، فلا يخطر على باله إلا أن يأتي لزوجه منها بما تصطلي، ولا باس من أن يسترشد لطريقه في هذه الصحراء: ﴿لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (طه:١٠). فهذان أمران ماديان يخطران على قلب كل من عانى نفس ظروف موسى عليه السلام؛ ولكن لم يخطر بباله أن

وراء هذه النار غيب كامن سيتفتق قريباً، ألا وهو التكليف بالرسالة: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (طه:١١-١٣).

ومثال آخر في هذا السياق، وهو رؤية المؤمنون الأحزاب في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ (الأحزاب:٢٢)؛ وهؤلاء الأحزاب قد كشفوا للمؤمنين الغيب الذي وعدهم ربهم: ﴿ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ (الأحزاب:٢٢)؛ وبالطبع فإن رؤيتهم لهذا الغيب المتحقق زاد من إيمانهم: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب:٢٢).

وأما دلالة مشاهدة الشيء المادي على الجزاء، فمثاله قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ (هود:٧٠)، فجملة ﴿لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ جعلت إبراهيم – عليه السلام – يدرك أن هذه الأيدي التي لم تمتد للطعام دلت على أنهم ليسوا بشرا، بل ملائكة؛ ومجيء هؤلاء الملائكة بهذه الكيفية يدل على نذير العذاب، حكى الله تعالى هذا الشعور بقوله: ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ (هود:٧٠). وكان توقعه في مكانه، فما كان منهم إلا أن هدأوا من روعه، حكى ذلك الله تعالى في قوله: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ (هود:٧٠).

ومن أمثلة الأشياء التي تدل مشاهدتها على الجزاء أو إستحقاق الجزاء، ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (يوسف:٢٨)، فجملة ﴿قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ هي الآية الدالة على حدوث الجرم، وهذه المعلومة – بارتكاب الجرم – كانت غيبا على عزيز مصر قبل أن يرى هذه الآية.

المطلب الثاني: رؤية (الله) أو (الرسول الملكي)

كما رأينا في حديث جبريل – عليه السلام – أن مشاهدة العبد لربه يعبر عنها بالرؤية، وهذا أيضا ما ورد في قوله تعالى – حكاية عن موسى – عليه السلام: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ (الأعراف:١٤٣).

كذلك تم التعبير عن مشاهدة الرسول الملكي – جبريل عليه السلام – بالرؤية، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (يوسف"٢٤)، فجملة ﴿رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ هو أن يوسف – عليه السلام – رأى الملك،[1]؛ مما كان ذلك سببا في تذكيره وصرفه عن الوقوع في الفاحشة، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف:٢٤).

ومن أمثلة رؤية الرسول الملكي، ما حدث لنبينا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَىٰ﴾ (النجم:١١-١٢). فهذه الرؤية تمت بغار حراء. عندما فجأه الوحي ببطحاء مكة. وأما

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١(١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)، ج١٦/ص٤٨.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِندَ سِدْرَةِ المنتَهَى (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ المأْوَى﴾ (النجم:١٣-١٥)، وهذه تشير إلى رؤيته إياه على حقيقته وهو نازل من عند ربه ليلة الإسراء والمعراج.

المطلب الثالث: رؤية الجزاء الحسن أو السيئ

لما يأتي الحديث عن الجزاء يأتي ويعبر عنه بفعل (رأى)، وذلك لأن الجزاء قبل أن يقع كان غيباً، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (يونس:٤٦).

وكذلك يعبر عن الجزاء بفعل (رأى) للذين كانوا يكذبون به لأنه كان غيباً بالنسبة لهم فأصبح حقيقة ماثلة من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (النحل:٨٥)، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (النحل:٨٦)؛ فهاتان الآيتان وردتا متتاليتين في سورة النحل، وكل منها قد وصفت أناس بصفة، فالأولى وصفتهم ب(الَّذِينَ ظَلَمُوا)، والثانية وصفتهم ب(الَّذِينَ أَشْرَكُوا)، مما يشير إلى أن الأولى تتحدث عن من كفر بملك الله تعالى (أي توحيد الملك)، خاصة وأن هذه الآية – (النحل:٨٥) – قد ختمت عدد من الآيات التي تتحدث عن نعم الله تعالى؛ ووسمت هؤلاء الظالمين بأنهم منكرون لهذه النعم: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الكَافِرُونَ (٨٣) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (النحل:٨٣-٨٤). ولا غرو أن هذه النعم هي من صميم ملك الله تعالى.

وأما الذين وصفوا بالشرك فهؤلاء قد انتهكوا توحيد الربوبية. وهناك آية أخرى تحدثت عن رؤية العذاب، وهؤلاء ليسوا ممن كفر بتوحيد الملك أو توحيد الربوبية، بل ممن كفر بتوحيد الإلوهية، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ (الكهف:٥٣)، حيث وصفت هذه الآية هؤلاء ب(المجرمين). وذلك لأن المجرمين هم أئمة الضلال، وهم من يتزعمون مناهضة الرسل أينما كانوا، كما جاء في التنزيل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الفرقان:٣١).

ومن هذه الأوصاف (مشركين، وظالمين، ومجرمين) يفهم أنه كما بين حديث جبريل عليه السلام أن الشريعة على مستويات ثلاث، فكذلك التوحيد، ففيه توحيد الربوبية، وتوحيد الملك، وتوحيد الإلوهية، وهو نفس الترتيب الذي أشارت إليه سورة الناس في مطلع آياتها: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ﴾ (الناس:١-٣).

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث نخلص إلى أهم النتائج وما ترتب عليها من توصيات، وهي على النحو التالي:

النتائج

النتائج التي سترد هنا هي عبارة عن الإجابة التي تم الحصول عليها نظير كل سؤال من أسئلة البحث المذكورة آنفاً، وهذه النتائج هي:

أولاً: على الرغم من أن فعل (النظر) و(البصر) و(الرؤية) لا يتم إلا باستخدام آلة واحدة – في كل الحالات- ألا وهي عين الإنسان، إلا أن كل من هذه الأفعال لا يحمل نفس المعنى الذي يحمله الفعل الآخر.

ثانياً: مما سبق فإن مفردات (النظر) و(البصر) و(الرؤية) عندما تَرد كلها – أو بعض منها – في آية واحدة فلا يكون ورودها من قبيل الترادف، بل من قبيل الاختلاف في المعنى.

ثالثاً: أن لكل من مفردات (النظر) و(البصر) و(الرؤية) دلالة معينة على عِلْم الإنسان بعالَم من العوالم الثلاثة؛ فـ (النظر) يدل على العلم بعالَم الشهادة، و(البصر) يدل على العلم بعالَم الغيب النسبي، و(الرؤية) تدل على العلم بعالَم الغيب.

مناقشة النتائج:

أولاً: أن معنى (النظر) هو توجه العين إلى شيء مادي لمعرفة مظهره الذي يمكن أن يدركه جميع الناس، كـ (النظر) إلى الشمس، فهي شمس لكل الناس؛ ولكنها ليست كذلك بالنسبة لعالِم الفلك أو عالِم الفيزياء، إذ أنهما لا يكتفيان بالتوصيف للظاهر الذي وقف عنده (العوام)، بل يغوصون إلى ما وراء هذا الظاهر، لاستنباط القوانين المادية التي تحكمها؛ وهذا الفعل هو ما يسمى بـ (البصر). وأما (رؤية) الشمس فهي ليست الشمس التي عُرفت بـ (النظر) أو (البصر)، وذلك لأن الرؤية هي معرفة الشيء على حقيقته، وهو أمر لا يدركه إلا من كشف له هذا (العلم)، كالنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – حين وجه سؤاله إلى أبي ذر – رضي الله عنه – حينما كانا فِي المَسْجِدِ عِنْدَ الغُرُوبِ، فَقالَ: (يا أَبَا ذَرٍّ أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟ قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّهَا تَذْهَبُ حتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَذلكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ﴾ لَهَا ذلكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ (يس:٣٨))[1]؛ وهي نفس (رؤية) يوشع بن نون للشمس حين خاطبها قائلا: (أَنْتِ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ)[2]. وعليه، فـ (النظر) للعوام، و(البصر) للعلماء، و(الرؤية) للأنبياء أو الأتقياء.

ثانياً: ورود كل من مفردات (النظر) و(البصر) و(الرؤية) – أو بعض منها – في آية واحدة: فإنما يدل ذلك على أحد أمرين **إما لبيان الفوارق الفكرية** كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف:١٩٨)، **أو لبيان**

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم: ٤٨٠٢، (١٢٣/٦)

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم: ١٧٤٧، (٣/ ١٣٦٦)

اختلاف المنزلة العلمية كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف:١٤٣)، فهذا بيان لطلب الترقي من منزلة علمية إلى منزلة علمية أرفع، إلا أنها مستحيلة في الدنيا.

وأما ورود كل من مفردات (النظر) و(البصر) و(الرؤية) – أو بعض منها — في آيتين متجاورتين، فإنما يكون ذلك **لبيان الفرق في العلم** نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ﴾ (الواقعة:٨٥)، فجملة (تنظرون) هي بيان لعلمهم بالشهادة الماثلة أمامهم، وأما جملة (لا تبصرون) فهي نفي لعلمهم بالغيب النسبي، إذ أنه عزب عن الحاضرين، ولكن عَلِمه من يكابد سكرات الموت.

ثالثاً: مما سبق يتضح أن مفردات (النظر) و(البصر) و(الرؤية) تدل على التطور الفكري أو العلمي من منزلة الى منزلة أرفع، فمثلا عن وصف المستوى الفكري لحال أهل الكفر فقد حكى الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (سبأ:٣٥)، فإسم الإشارة (نحن) الذي ورد مرتين في هذه الآية يشير إلى (ذاتية) هؤلاء الكفار، وأما جملة (أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا) فهي بيان لمادية هذه الذاتية؛ وأما جملة (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) فهو تنطع منهم وحكم على عالم الغيب بمعطيات عالم الشهادة، والذي ينطلق من إحساسهم بما يملكونه من مال وأولاد، وبالتالي فإن دليلهم على إنكار هذا الغيب فهو أيضا دليل مادي كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ (الجاثية:٢٤). وبالتالي فهم لا يرومون التطور من عالم الشهادة إلى عالم الغيب وعالم الغيب النسبي، بل يصرون بأن ينزل الوحي إلى مستواهم الفكري المادي، بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ (الأنعام:٣٧)، و﴿الآية﴾ هي ظهور شيء من عالم الغيب إلى العالم المادي خارقاً للقانون المادي، كخروج ناقة صالح من صخرة. ولهذا فإنْ دلالة مفردة (النظر) على عالم الشهادة، فهي دلالة على (ذاتية) من يوصف بها، والذي يسعى لإشباع هذه الذاتية من المعطيات المادية الرخيصة.

كيف لنتائج البحث أن تساعد في تكوين جيل من المسلمين فى الغرب ؟

إهتم دين الإسلام بتطوير الإنسان من ثلاث ذاتيات، وهي (الذاتية المادية)، و(الذاتية العرقية)، و(الذاتية الروحية)؛ فأما الذاتية المادية فقد توجه إليها الدين بشريعة الإسلام، لكي يعمل على تزكيتها، كما ذكرنا ذلك من قبل. وأما الذاتية العرقية فقد توجه إليها الإسلام بشريعة الإيمان؛ والتي تدعو للتغلب على الإنتماء العرقي والتمسك بالإنتماء الفكرى. وأما الذاتية الروحية والمتمثلة في إهتمام الإنسان في تخليص نفسه بالعبادة، كما جاء في حديث جبريل عليه السلام: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه)، فهي ليست مقصداً في ذاته بل من أجل أن يتطور هذا (العبد) ليصل إلى منزلة الإمامة، والتي تؤهله للقيادة الروحية، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ (السجدة:٢٤).

ومن أمثلة التزكية من الذاتية الروحية إلى القيادة الدينية؛ التطور الذي حدث لموسى — عليه السلام — حين واعده ربه ليتزكى روحياً: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (الأعراف:١٤٢)؛ وهذه التزكية هي التي وردت في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾

(البقرة:١٢٩)، أي بعد أن علمهم الكتاب والحكمة يزكيهم لتطور القيادة الدينية والتزكية هنا بخلاف التزكية التي وردت في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٥١] إذ أنها تزكية من الذاتية المادية.

ومن أمثلة التزكية من الذاتية الروحية إلى القيادة الدينية؛ إعتكاف يونس – عليه السلام – في بطن الحوت: ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ المسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (الصافات:١٤٤)، فبفضل الدعاء نجاه الله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ (الصافات:١٤٦)، ثم طوره للقيادة الدينية: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (الصافات:١٤٨).

ومن أمثلة التزكية من الذاتية الروحية إلى القيادة الدينية، ما حدث لنبينا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – حين كان يعتكف في غار حراء، فجاءه جبريل – عليه السلام، مؤذناً بدخوله إلى طور الإمامة: ﴿يَا أَيُّهَا المدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ﴾ (المدثر:٢)، وذكر الله تعالى هذه القيادة في قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف:١٨١).

ومن هنا نرى أن الإسلام –كدين – يقدم لأصحابه العلاج الشافي من الذاتية، لكي تؤهّل هذه الذات للنهوض بأعباء المجتمع، والتعايش معه والصبر على أذاه، حتى نيل درجة الإمامة لكي يتمكن من قيادة هذا المجتمع أو ذاك للسير به في سبل السلام: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام:١٢٢).

وعليه، فإن مقاربة الإسلام هي تقديم طريقة للعيش في سلام مع المجتمع الذي يحتضنه، من حيث البدء بتزكية الذات (من الداخل) قبل أن يطلب من المجتمع (الخارج) تلبية حاجاته؛ ثم الصبر على هذا المجتمع، حتى نيل درجة القيادة والريادة فيه، فبالصبر تنال الدرجات: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾ (إبراهيم:١٢)، وجاء في الحديث الشريف: (وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ)[1].

التوصيات:

١. ضرورة إجراء مزيد من البحوث للتحقق من أن أقسام التوحيد توقيفية من حيث الأسماء: الربوبية والملك والإلوهية، وأن أسماء الله تعالى الحسنى هي أساس هذا التقسيم، خاصة لو تم النظر إلى أسمائه: (الله) و(الرحمن) و(الرحيم) الواردة في البسملة، وأيضا النظر إلى أسمائه (الرب) و(الملك) و(الإله) الواردة في مطلع سورة الناس.

٢. ضرورة إجراء مزيد من البحوث للتحقق من أن الشريعة ثلاثة شرائع، وأن كل شريعة مستوى، يلتقي كل الناس في مستواها الأدنى (الإسلام)، ولكن ليس بالضرورة أن يتساووا في المستويين الآخرين: (الإيمان) و(الإحسان)، ويمكن

(١) صحيح مسلم حديث رقم: ١٠٥٣، (٢/ ٧٢٩).

إستصحاب قوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً﴾ (المدثر:٣١)، أو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ (المائدة: ٩٣)، أو الحديث القائل: (ما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه)، أو حديث: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)، وعير ذلك كثير في القرآن والسنة.

٣. ضرورة الإهتمام بمفردات القرآن الكريم، ودراستها لمعرفة ما يكمن فيها من دلالات، خاصة المفردات التي ترد شبه متناظرة مثل: (نجى) و(أنجى) أو (نزل) و(أنزل) أو (سنة وحِجة وعام)، وغيرها كثير.

فهرس المصادر والمراجع:

١. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠.

٢. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١(١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).

٣. الجامع الكبير، سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٤. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤١١ – ١٩٩٠م)

٥. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١/٣٦.

٦. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.

فهرس الموضوعات

ملخص: ١
المقدمة ٢
يحتوي القرآن الكريم على كثير من المفردات التي يختار أمامها الباحث، من حيث معناها أو من حيث دلالتها؛ ومن ضمن هذه المفردات؛ مفردة (النظر) و(البصر) و(الرؤية) التي سوف تكون موضوع هذا البحث. ٢
المبحث الأول ٣
عالم الغيب ... وعالم الشهادة ٣
المطلب الأول: الحياة العقلية ومستويات التكليف ٤
المطلب الثاني: مستوى العقل المادي والعقل الإجتماعي المنكفئ والعقل الإجتماعي المنفتح ٥
المطلب الثالث: عالم الغيب النسبي ٧
المبحث الثاني ٨
النظر وعلاقته بالعالم المادي ٨
المطلب الأول: النظر وعلاقته بمبدأ الأمن ٨
المطلب الثاني: النظر وعلاقته بمبدأ القوت ٨
المطلب الثالث: النظر وعلاقته بالأشياء المادية ٩
المبحث الثالث ١٠
البصر وعلاقته بعالم الغيب النسبي ١٠
المطلب الأول: البصر المادي البحت ١٠
المطلب الثاني: البصر الروحي البحت ١٢
المبحث الرابع ١٥
الرؤية وعلاقتها بعالم الغيب ١٥
المطلب الأول: رؤية الأشياء المادية ودلالتها على عالم الغيب ١٦
المطلب الثاني: رؤية (الله) أو (الرسول الملكي) ١٧
المطلب الثالث: رؤية الجزاء الحسن أو السيئ ١٨
الخاتمة ١٩
التوصيات: ٢١
فهرس المصادر والمراجع: ٢٢
فهرس الموضوعات ٢٣